ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

محمد مهدي البصير وجهودهُ في(أدب ما قبل الإسلام)

Muhammad Mahdi Al-Basir and his efforts in pre-Islamic literature

م. د. وليد جاسم الزبيدي– جامعة المستقبل/ العراق.

Waleed.jasim.abbas@uomus.edu.iq

م.م. إيناس وليد جاسم/ الكلية التقنية –المسيب.

enas.jassim.tcm@atu.edu.iq

Dr. Waleed Jassim Al-Zubaidi – Al-Mustaqbal University, Iraq .

Assistant Lecturer Enas Waleed Jassim – Al-Musayyib Technical College.

تاريخ إرسال البحث: 10 / 2 / 2025 **تاريخ قبول البحث: 20 / 3 / 2025**

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

الخلاصة/

(محمد مهدي البصير) شاعرٌ وخطيبٌ ومؤرخٌ وأكاديمي عراقي، ووُصِفَ أنهُ (خطيب ثورة العشرين) كتبَ مصنّفاتِ ومقالاتٍ ، وكانَ حاضراً في الندوات وفي برامج الإذاعة والتلفاز. تركَ لنا إرثاً تاريخياً وأدبياً كبيراً، ومن بينها كتابه الذي بين أيدينا (بعث الشعر الجاهلي) الذي كانَ ردّا علمياً ومنطقياً لكتاب عميد الأدب العربي (د. طه حسين) الموسوم (في الشعر الجاهلي)، وقد أشار في طياته الى مواقفه وآرائه في أفكار (د. طه حسين) وما جاء به حول (الأدب الجاهلي/ ما قبل الإسلام) . وهذا الكتاب لم يحظَ بالدراسة والإعلام في زمنه وبعد وفاته.

لذا آثرتُ أن أسلط الضوء عليه وأن أضع ما لهُ وما عليه ، ووجدتُ فيهِ:

كانَ البصير دائم البحث والتغيير والإضافة بكتاباته فهو يضيف ويشطب حسبما يقتضيه الموقف، فيهذّب أوراقه قبل طبع الكتاب ليكون في حاله الأخير مختلفاً عمّا قدّمه في دار الإذاعة أو في محاضرات درسه الأكاديمي.

أجدُ أن ترتيب الموضوعات في الكتاب على وضعه الحالي لم يكن موفقاً فيه لإعطاء الكتاب الأهمية ولتسلسل الموضوع لبلوغ الغاية المبتغاة. فلو وضع الدكتور البصير موضوع (أطروحتان) في ص: 84 ، والتي يبين فيه ويوضّح قصة كتابة هذا الكتاب والكتاب الأصل (الأدب العربي قبل الإسلام) ومن ثم قيمة الشعر الجاهلي في صفحة 100، ومن ثم يبدأ بشعراء المعلقات، هذا من باب أولى ووفق منهجيةٍ علميةٍ ؛ لا كما وضعها الدكتور بالمقلوب حيث وضعَ عرضاً ودراسةً لشعراء المعلقات أولاً ؛ ومن ثم بيّن قصة الكـتاب وقيمة الشـعر الـجاهلي الفنية والأدبية والاجتماعية .

الكلمات المفتاحية/ البصير– طه حسين– الأدب الجاهلي– القرن التاسع عشر الميلادي– المعلقات.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

Summary

Dr. Muhammad Mahdi Al-Basir was an Iraqi poet, historian, and academic, often described as the "Orator of the 1920 Revolution." He authored numerous works and articles, participated in seminars, and appeared on radio and television programs. He left behind a significant historical and literary legacy, including the book we have before us, The Revival of Pre-Islamic Poetry. This work serves as a scientific and logical rebuttal to The Pre-Islamic Poetry by the dean of Arabic literature, Dr. Taha Hussein. In it, Al-Basir discusses his positions and critiques of Dr. Taha Hussein's ideas regarding pre-Islamic literature. Despite its significance, this book did not receive much academic attention or media coverage during Al-Basir's lifetime or after his passing. Therefore, I have chosen to shed light on it, highlighting its merits and critiques.

I found that Al-Basir was constantly revising, modifying, and adding to his writings. He would edit and refine his work, crossing out and adding material as needed, polishing his manuscripts before publishing to ensure the final version differed from what he might have presented on the radio or in his academic lectures. However, I find that the arrangement of topics in the current version of the book was not particularly effective in highlighting its importance or in presenting a logical progression toward the intended goal.

For example, if Dr. Al-Basir had placed the section titled Two Theses on page 84—where he explains the story of writing this book and its original counterpart, Pre-Islamic Arabic Literature—followed by the discussion of the value of pre-Islamic poetry on page 100, and then began with the poets of the Mu'allaqat, this would have been more appropriate and aligned with a scientific methodology. Instead, he presented the material in reverse order, starting with an analysis and study of the poets of the Mu'allaqat before addressing the story of the book and the artistic, literary, and social value of pre-Islamic poetry.

Key Words: Al-Basir - Taha Hussein - pre-Islamic literature - the nineteenth century-Pendants.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

المقدمة/

لا حاجةَ للتعريف للسيرة الذاتية وحياة الشاعر الناقد المؤرخ (الدكتور محمد مهدي البصير) كثيرةٌ هي المقالات والكتب والرسائل والأطاريح التي وضعت سيرته وترجمت له، ولعل كتب التراجم ، منها على سبيل المثال لا الحصر، مستدركات أعيان الشيعة، لحسن الأمين، و(أساتذتي ومقالات أخرى) للدكتور علي جواد الطاهر، ورسالة الماجستير المطبوعة(البصير شاعراً) لكاتبها منعم حميد حسن، التي أجيزت في جامعة الأزهر سنة 1978م، ورسالة الماجستير الموسومة(شعر محمد مهدي البصير – دراسة نقدية) لكاتبها محمد عبد الرزاق أحمد، والتي أجيزت في جامعة القاهرة سنة 1981م، ورسالة ماجستير على الآلة الطابعة للطالب خليل إبراهيم جميل في جامعة بابل– كلية التربية، الموسومة (مهمد مهدي البصير وجهوده النقدية) والتي أجيزت سنة 1998م، ورسالة الماجستير الموسومة (محمد مهدي البصير ودوره السياسي في العراق) لكاتبها علي كاظم حمزة، والتي أجيزت في جامعة بابل– كلية التربية/ قسم التاريخ سنة2006م، وهناك كتاب للدكتور علي الربيعي بعنوان(البصير مسرحياً) سنة 2008، فضلاً عن وجود سيرته في المواقع الإلكترونية.

لذلك أجد من الأفضل أن أجعل المقدمة في الحياة الثقافية للعصر الذي عاشه هذا العلم من أعلام أدبنا العربي (الدكتور محمد مهدي البصير)، وهو القرن التاسع عشر الميلادي(الثالث عشر الهجري) وبدايات القرن العشرين الميلادي (الرابع عشر الهجري)، الزاخرة بالأحداث السياسية والاجتماعية والثقافية، والتي أثرت في أفكاره وآثاره .

شهِدَ القرن التاسع عشر لميلادي/ الثالث عشر الهجري، قلّة المدارس ووجود بعض الكتاتيب القريبة من أديرة الرهبان ، وكانت المدارس السائدة في عموم الحواضر العربية (بغداد، النجف، دمشق، حلب، القاهرة، الإسكندرية،) مدارس تُعنى بالعلوم الدينية والفقهية وبعض المعارف اللسانية كالصرف والنحو أما الكتب الثمن والتي لا يحصل عليها إلا القليلون، والطبعة العربية إذ ذاك كانت في بداية خطواتها الخجولة، قليلة

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

الانتشار [1]، ومطبوعات أوربا العربية لم يكن يعرفها أو يقتنيها إلا أفراد من الشرق، فضلاً أنها كانت موضوعة للعلماء وليس للدارسين أو من يريد أن يحصل على معلومة أي أنها كانت للخاصة، أكثر منها لفائدة طلبة العلم والباحثين، وأغلب المطبوعات والمطابع كانت في دار السلطنة العلية في الآستانة وكانت باللغة التركية[2].

فالحياةُ الثقافيةُ أبان القرن التاسع عشر الميلادي في العراق، فلو نظرنا الى العمق الثقافي للعراق تجده عميق وقديم قِدم التاريخ والثقافة، فبلاد وادي الرافدين وريثة ثقافات عريقة ولها الفضل الكبير على الإنسانية جميعا. فهو وريث حضارات بابل وسومر وأكد وآشور، وحضارة الدولة الإسلامية، فهو وريث علوم وآداب القرن الثالث والرابع الهجريين، وهما عصر الذروة للحضارة الإسلامية [3]. في القرن التاسع عشر الميلادي، عانى العراق كثيراً بالتغييرات السياسية والحروب والصراعات في ظل الدولة العثمانية، فكانت المدارس للخاصة، وأنشأت المدارس العسكرية من عالية واعدادية ومرشدية(ابتدائية) [4]. وأنشأت المدارس المدنية للهندسة والطب والصناعة والزراعة ومختلف العلوم، وكان التعليم والمنهج باللغة التركية، وكان المنتفع من هذه المدارس والامتيازات أبناء الموظفين والموالين للأتراك، وحرمان أبناء الفقراء من التعلم والتعليم، في حين كانت المدارس القديمة الحكومية، تلاميذها مبتدئين يتولون الوظائف الدينية فقط.

الحياة الثقافية والعلمية أبان القرن التاسع عشر الميلادي/ الثالث عشر الهجري، سارت في خطين متوازيين، الأول تبنّتهُ سياسة التتريك العثمانية، وتوجيه الثقافة ووسائل التعليم نحو التسييس والاستحواذ على العقول والأفكار لتكون تركيةً قلباً وقالباً وهذا ما فشلت فيه، والخط الثاني الثقافة والإرث الثقافي الذي حافظت عليه بل وطوّرتهُ المدرستان الدينيتان (المدرسة الشيعية) متمثلةً بالحوزة العلمية وهي القاعدة الأولى

[1] شيخو، الأب لويس شيخو اليسوعي، الآداب العربية في القرن التاسع عشر، طبعة ثانية مصححة مع زيادات شتى، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت–1924: 1/ 4.

[2] إبراهيم الوائلي، الشعر السياسي العراقي في القرن التاسع عشر، طبعة ثانية مزيدة ومنقحة، مطبعة المعارف– بغداد، 1398هـ/ 1978م: 24.

[3] يوسف عز الدين، داود باشا ونهاية المماليك في العراق، بغداد–1967م: 324.

[4] الوائلي، الشعر السياسي: 95.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

وكانت في الحلة وكربلاء والكاظمية وسامراء ، واستقرت أخيراً في النجف. أمّا المدرسة الثانية فهي المدرسة السّنية وقاعدتها بغداد والموصل .

كما شهد العراق تأسيس مدارس لأديان أخرى ، فهناك مدارس للحملات التبشيرية المسيحية في شمال العراق والموصل وبغداد (مدارس اليسوعيين)، ومدارس (الكرمليين) في البصرة، كما فتح اليهود مدارس لأبنائهم [1]. وعلى هذا النحو أصبح العراقُ مزيجاً من هذا التلاقح الثقافي والفكري من ثقافة دينية متنوعة فضلاً عن الإرث المجيد للغة والعلوم العربية متمثلاً بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، والموروث الأدبي الضخم منذ عصر ما قبل الإسلام وحتى العصور المتأخرة.

كل هذه المدارس والثقافات والتيارات والآداب كانت عاملاً قوياً ساهمَ في قيام نهضةٍ أدبيةٍ في هذا القرن ، فضلاً عن عوامل أخرى منها وجود عوائل وشخصيات تبنّت دعم واسناد العلماء والمفكرين والأدباء لغرض النهوض بالواقع الثقافي والأدبي خصوصاً، ومقاومة السياسات المفروضة لطمس الهوية العربية الإسلامية للعراق وشخصية وثقافة العراق العريقة.

ومن هذا الخليط المؤتلف والمختلف نهض علّمنا وعالِمنا الذي ندرسه ونبحث فيه الدكتور محمد مهدي البصير.

[1] الوائلي ، اشعر السياسي: 95- 96.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

المبحث الأول

كتابهُ (بعث الشعر الجاهلي):[1]

وفي صفحته إهداء بخط الدكتور البصير: (الى الأديب المفضال أخي الأستاذ محمد علي كمال الدين رمز شعوري الودي الصادق. بغداد 1939/6/21) وفي صفحته الأولى أيضاً ختم وقف ورثة السيد محمد علي عيسى كمال الدين إلى مكتبة الروضة الحيدرية.).

قبل أن يكون ويولدَ كتاب (بعث الشعر الجاهلي)، كان للبصيرِ كتابٌ أرادَ فيه أن يترجمَ أفكارَهُ وآراءهُ في صحة الشعر الجاهلي بوجه عام وقصائد المعلقات بشكل خاص، كما بيّنَ فيه الخصائص الفنية والأدبية للشعر الجاهلي ودلالتها في حياة العرب العقلية والاجتماعية. وكان كتابهُ الذي عنونه (الأدب العربي قبل الإسلام) ردّ فعلٍ لصدور كتاب الدكتور طه حسين (في الشعر الجاهلي)، الذي قامت عنده وبعده الضجة التي يذكرها الدارسون والباحثون آنذاك. وقد أنجزَ الدكتور البصير كتابه (الأدب العربي قبل الإسلام) سنة 1929هـ، وقد درّسهُ على شكل محاضرات في جامعة آل البيت أولاً . وحينما أتيحت له الفرصة لتحقيق طموحه في الدراسة العليا في فرنسا وما تلقاه من رعاية ودعم الملك فيصل، وتسهيل مهمة دراسته، فغادر العراق سنة 1930 الى مصر حيث أمضى نحو من سنة ثم الى فرنسا. وهناك وبعد دراسته اللغة الفرنسية وتعلمها، قام بترجمة كتابه (الأدب العربي قبل الإسلام) الى اللغة الفرنسية وشرع بتقديمه كـ(أطروحة) لنيل درجة الدكتوراه في السوربون، إلا أن أفكار الدكتور البصير المناهضة لآراء المستشرقين الفرنسيين في الأدب العربي في العصر الجاهلي، حيث أن سياسة المستشرقين كما يقول عنها البصير[2]: (لأن سياسة المستشرقين المصطبغة بصبغة علمية ترمي الى إنكار شخصية العرب الأدبية، فهم يرفضون الشعر الجاهلي كله رفضا تاماً، ولا يعترفون بصبغة أدبية فنية للقرآن. كما أنهم ينكرون أن تكون خطب نهج البلاغة ورسائله وحكمه للإمام علي –عليه السلام–، ويعتبرون عبد الحميد الكاتب شخصية خيالية كامرئ

[1] {كتاب بعث الشعر الجاهلي ، مطبعة التفيض الأهلية–بغداد، 1939م.حجم الكتاب: متوسط، عدد صفحات الكتاب 151 ورقة. نسخة مكتبة الروضة الحيدرية الرقم: 98091 بتاريخ 2010/12/11.).

[2] البصير، بعث الشعر الجاهلي: 86– 87.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

القيس وطرفة وزهير وغيرهم من الشعراء الجاهليين! ولا يبدأ النثر الفني عندهم –وهو الجزء الدال حقيقة على التفكير والتحليل والتفنن في البيان– إلا بابن المقفع! أي أنه يبدأ برجل أجنبي.) .

وكان من هؤلاء المستشرقين المتزمتين الذين عارضوا على تسجيل ومناقشة الأطروحة المستشرق الفرنسي الأستاذ ماسنيون. واتجاه هذا التزمت والسياسة السائدة آنذاك في الأوساط الأدبية والثقافية والعلمية الأكاديمية في فرنسة عَدِلَ البصيرُ عن فكرته في عنوان وآراء أطروحته ليسجّل عنواناً جديداً وبعيداً كل البُعد عن طموحه الأول ليبحر في تجربةٍ جديدةٍ ومغامرة يلج فيها عباب الأدب الفرنسي ذاته، فكانت رحلته مع (شعر كورني)[1].

–والآن نسألُ أي كتابٍ بين يدينا اليوم؟ الكتاب المطبوع الذي بين يدينا اليوم هو كتاب (بعث الشعر الجاهلي) وهو عبارة عن سلسلة أحاديث في الإذاعة اللاسلكية العراقية أرّخ لها البصير في هامش كل حلقة تأريخها بدءً من أول حلقة (امرؤ القيس) بتاريخ 2–8–1938ثمّ بآخر حديث إذاعي بتأريخ 26 كانون ثاني سنة 1939. ثم وجدَ هذه الأحاديث خير معين لطلبته في دار المعلمين العالية، وبعدها تقدمت وزارة المعارف العراقية لطبع هذه المحاضرات في كتاب منهجي يفيد منه الطلبة، فإذن الكتاب سلسلة أحاديث وقد تضمّن شيئاً من كتابه الأول(الأدب العربي قبل الإسلام)، فكتابه الأول الذي ترجمه الى الفرنسية لم يصلنا ولم نقرأه.

ب– ظاهرة الانتحال في الأدب العربي والآداب الأخرى

لقد وضّح الدكتور البصير في كتابه، أنّ ظاهرة الانتحال التي تحدّثَ عنها المستشرقون وبعض العرب المتأثرين بسياساتهم ومذهبهم الديكارتي، الذي يعنى بفلسفة الشك بالشك، وسلاحهم للطعن في الشعر الجاهلي ومعلقاته، هو القول بأن حمّاد الراوية هو أوّل منْ جمعها ودوّنها في سفر، ويسمّونه(الكذّاب).

[1] البصير، بعث الشعر الجاهلي: 87.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

ويفنّدُ البصير هذا الرأي والزعم بقوله (أنه أعجز بكثير من أن يقول هذه المطولات السبع أو واحدة منها..). ويقول البصير: (وقد أحصيتُ ما عُرفَ لحمّاد من الشعر، على أنه له، أو على أنه محمول على بعض الشعراء الجاهليين أو المخضرمين، فكان كله أربعة وعشرين بيتاً.)[1] .

ويضيف البصير، ليوضّح بكل موضوعية أمام الجميع أنّ ظاهرة الانتحال التي أسّسَ لها منْ أرادَ الإساءة للأدب العربي برمّته، لم تكن مقصورةً عليه، فقد كانت هذه الظاهرة موجودةً في الآداب الإنسانية جميعا، وضمنها الأدب الفرنسي. فيقول البصير: لا يرتاب اليوم أحد من النقدة الفرنسيين بأن جميع المؤلفات التي كانت تُنسب الى–ربله– في القرن الماضي ليست له –عدى مجموعة "بنتك ريل" –.. ويضيف: على ما أظن بأن القرن السابع عشر أرقى عصور اللغة والأدب الفرنسيين، ومع ذلك لم يخل الأدب الفرنسي في ذلك العصر من الافتعال والانتحال، ففي المجلد العاشر من آثار كورني طبعة –مارتي لافو– طائفة من المطولات والمقطوعات مجموعة تحت عنوان (ما نُسبَ الى كورني).. كما توجد حفنة من الشعر المنسوب مجموعة تحت عنوان (ما يضاف الى راسين).. وهناك شعر غير قليل محمول على –لافنتين، وموليرـ وغير خافٍ على أحد أن هؤلاء من أساطين الأدب الفرنسي في القرن السابع عشر الميلادي.

وعلى هذا التوضيح لابّدّ أن نقول أن ظاهرة الإنتحال موجودةٌ في كل زمان ومكان في الآداب جميعاً، ولكن لا يمكن أن نجعل من هذه الظاهرة سلاحاً لإنكار الشعر بجملته، سواء شعر شاعر معين، أو أدب عصرٍ أو عهد. فما موجود من شعر منسوب لشاعر في عصر محدّد في فرنسا لا يعني أن ننكر جميع شعره، أو ندّعي أن ذلك الشاعر خرافة أو شخصية أسطورية لا وجود لها في الحقيقة. أن التطرف في قبول البعض ورفض البعض الآخر الذي يأتي في أغلب الأحيان مدعوماً بغطاء سياسي ونوايا لتغييب الآخر، لم تكن في حكم النقد والتحليل والدراسة العلمية تستند الى قواعد تعارفَ عليها الجميع منذ الكلاسية وحتى الحداثوية والبنيوية، والمدارس المتنوعة في قراءة النّص. ولذلك نرى مدى العلمية والموضوعية لدى الدكتور البصير في قراءته للأدب الفرنسي، فقد كانت قراءةً متأنيةً القصد منها الكشف عن الجمال وتأشير

[1] المرجع نفسه: 93.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

ما يمكن الإفادة منه، ولم تكن دراسة منْ يريد الثأر من بعض المستشرقين الذين طعنوا الأدب العربي وأرادوا ذبحه.

ج / أساليب شعراء المعلّقات

لقد افتتحَ الدكتور البصير كتابه: (بعث الشعر الجاهلي) بشعراء المعلقات، ودرسَ كل معلقة ووضّح آراءه ونقده فيها، فكان: امرؤ القيس، زهير بن أبي سلمى، عمرو بن كلثوم، الحارث بن حلزة، عنترة العبسي. ومن أساليب شعراء المعلقات التي أشّرها البصير:[1]

1- الزخرفة البيانية والتشبيهات والاستعارات الكثيرة الرائعة خير ما يميّزُ أسلوب امرئ القيس.

2- البساطة التامة واجتناب الفضول والحشو، أبرز الصفات التي يجدها الناقد الفني في أسلوب زهير بن أبي سلمى.

3- الموسيقية تغلب على لغة عمرو بن كلثوم فتهب معلقته مسحة شعرية جميلة ويمتاز شعره أيضا كونه دمث التعبير، ومحكم القوافي، وشعرهُ ذو تشابيه تجمع بين جمال البداوة وبساطتها.

4- يسيطر المنطقُ على معلقة الحارث بن حلزة، ويتجافى عن كل زخرفةٍ بيانية إلا أن في كلامه جمال القصة وحسن المناقشة ومرارة التهكم.

5-أمّا لبيد بن ربيعة فلا تمتاز معلقته بشيء سوى غرابة اللفظ وخشونة التركيب وجفاف التعبير.

6- أمّا عنترة بن شدّاد: يقول البصير عنه: عجزتُ عن فهم أسلوبه الخاص.

د/ قيمة الشعر الجاهلي، الأدبية والاجتماعية لقد كان الهدف الأساس في كتابة كتابه الأول: (الأدب العربي قبل الإسلام)، وكتابه الثاني الذي بين يدينا والذي نتناوله في هذه الصفحات (بعث الشعر الجاهلي)، هو لإثبات صحة الأدب الجاهلي عموماً والمعلقات بشكل خاص، والقول بأن المعلقات شعرٌ جاهليٌ لا غبار عليه. وكذلك بيّن الدكتور البصير مزاوجته في النقد والتحليل بين الأدبين العربي والفرنسي بأسلوب علمي

[1] المرجع نفسه: 98، 126، 127.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

يفهمه المتلقي ليس في الدرس الأكاديمي فحسب بل منْ يريد الاستزادة والاطلاع أيضاً من العامّة. فقد وضّح صورة الأدب الفرنسي أبان القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين، وبيّن آثار ظواهر نقدية مختلفة وكيفَ يدرسُ الناقدُ الفرنسي القريض ويناقشهُ في الموضوع أو الأسلوب أو بهما معاً.

أمّا الناقد العربي فيناقش القريضَ في حدود مقياس اللفظ والمعنى، ويعتبرهُ البصير مقياس ضيّق. وهو في هذا الجانب ينتصر لآلية الناقد الفرنسي ويقوّض نظرية الجرجاني في (اللفظ والمعنى)؛ حيث يشير في بيان القيمة النقدية للقريض ضرورة أن نستحسنَ ونستجيدَ الشعر ونحفظهُ ونتمثلَ به إذا أعجبنا في موضوعه أو في أسلوبه. ويقول البصير: (أقولُ في موضوعهِ ولا أقول في معناه، لأن الموضوعَ أعمّ من المعنى بكثير، وأقول في أسلوبه لأن الأسلوب أشمل وأوسع جداً من اللفظ.).

وعن قيمة المعلقات من حيث الموضوعات التي كتبت فيها فيوجزها البصير:[1]

1- الطبيعة: فقد وصفت المعلقاتُ الطبيعةَ بصورها(الثريا، الليل،البرق، المطر، السيل) ووصف المراعي وجمال الطبيعة، بل وقد وصفت المعلقات جغرافية القرى والوديان والصحارى والغدران التي يمرّ بها الشاعر خلال رحلاته.

2- اللهو واللذة: فقد شغل هذا الموضوع حيزاً كبيراً في المعلقات، وصف محاسن المرأة والخمرة ومعلقة أمريء القيس خير دليل على هذا الوصف.

3- الفخر، صور الفخر بالقبيلة والاعتداد بالنّفس.وستجد أجلى صور الفخر في معلقتي طرفة بن العبد (الاعتداد بنفسه، بقوله : إذا القوم قالوا منْ فتىً خلتُ أنني)؛ ومعلقة عمرو بن كلثوم في باب الفخر بقبيلته(إذا بلغَ الفطام لنا صبيٌ..).ويبين البصير أن الفخر في الأدب الفرنسي مكروه وغير محبب.

4- لقد صوّرت المعلقات الحياة البدوية خير تصوير، وصوّرت وأرخّت الحروب والنزاعات بين القبائل، ومحاولات الصلح والسلام ووضع العهود والمواثيق.

[1] المرجع نفسه: 100.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

هـ / المرأة في مجتمع ما قبل الإسلام: سادَ لدى بعض المؤرخين والمصنّفين مفهومٌ خاطئٌ، مفادهُ أن عربَ الجاهلية كانت نظرتهم للمرأةِ نظرةَ عارٍ وازدراءٍ ونقص وامتهان، بوأن ظاهرة الوأد شاعت في ذلك المجتمع وأبان ذلك العصر. لكنّ الدكتور البصير فنّدَ هذا المفهوم والإدعاء بأمثلةٍ وبراهينَ على مكانة المرأة المرموقة والمحترمة، وكيف أنجبت سادة القوم وزعماء الرأي وقادة وفرسان الجيوش..

ولو قرأنا شعر المعلقات لوجدناها لم تكتمل إلاّ بظهور المرأة في مقدمتها الغزلية، ولم تخلُ قصيدةٌ من اسم من أسماء النساء، وتحتل المرأةُ حيزاً كبيراً في قلوب الشعراء وعامّة القوم، وكان وصف مفاتنها، واللقاء بها، والوقوف على ديارها ومنازلها، وأماكن اللقاء والحنين والأطلال، كلها تدلّ على فخر الشعراء بذكر هؤلاء النسوة، وذكرها في مقدمات قصائدهم في الفخر والمديح والهجاء ومختلف الأغراض والفنون، فلا تكتمل القصيدةُ إلا بوجود المرأة . كما وأن أغلب الحروب والنزاعات كانت لأجل حماية العِرض، وكانت المرأة من دواعي صمود المقاتلين في المعارك وإظهار البسالة والشجاعة.[1]

و / القيمة الفنية للشعر الجاهلي

قبل دعوات المحدثين وأصحاب الحداثة وقبل أن تكتب الشاعرة العراقية نازك الملائكة أول قصيدة تفعيلة تكسر فيها جمود وقيود القافية في القريض الشعري سنة 1947 بقصيدتها (الكوليرا) أو بدايات شاعرنا الكبير بدر شاكر السياب، فقد حرّضَ البصير وشنّ حملةً واسعةً وأعلنَ حرباً عواناً على وحدة القافية، وكان أوّل منْ نادى لكسر وحدة القافية، فهي خنق الفكر وتضييق رقعة الخيال وشلّ القريحة. ويضيفُ البصيرُ : (أن وحدة القافية الموحّدة هي التي منعتنا –الى الآن– من نظم ملحمة كبرى كـ(الإلياذة) و(الشاهنامة).)[2].

[1] المرجع نفسه: 106– 109.

[2] المرجع نفسه: 148.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

وقد حمّلَ البصير القافية الموحّدة مسؤولية الاسراف في استعمال المجاز والكنايات والاستعارات ، ويضيف البصير بأن وحدة القافية محت أو كادت تمحو من أعماق نفوسنا الشعور بالموسيقى الشعرية. ويقول البصير بكل تحدٍ وإصرار: (فلنتخلص منها حالاً، ولننبذها دون تردّد.).

المبحث الثاني

المصطلحات النقدية المبتكرة في الكتاب

استخدمَ الدكتور البصير بعض المصطلحات النقدية السائدة في زمانه؛ وابتكرَ مفرداتٍ ومصطلحاتٍ حديثةً قياساً لعصره، وظّفها لتقييم الشعر والشعراء في العصر الجاهلي، ومنها:

1- إخلاص الشاعر: ويعبّر به عن الشاعر (امرؤ القيس)، لأنه لا يتكلف البحث عن الخواطر والأفكار بل يعبّرُ عمّا يجيشُ بصدره ويدورُ بخلده. ويقول البصير: (ومتى أخلصَ الشاعرُ فيما يقولُ كان بيانه سهلاً وشعرهُ سلساً.) [1].

2- الضبط : ويعني به الإحاطة. في حديثه عن شعر أمريء القيس أنه يقف ويستوقف ويحدّد آثار حبيبته وما يحيطها تحديداً كاملاً .كما يذكر (الضبط) في الحديث عن معلقة زهير بن أبي سلمى، فمن مميزات شعره الضبط (ويعني الإحاطة) والمتانة والجلاء في التعبير [2].

3- الواقعية : حيث وصف شعر زهير بن أبي سلمى كونه يمتاز بإيثار الواقعية .

4-جرثومة الفلسفة الشعرية : يقول الدكتور البصير في الحديث عن شعر زهير بن أبي سلمى وآرائه في الحياة والناس: (ولسنا نغالي إذا قلنا أنها جرثومة الفلسفة الشعرية التي نبتت في حقل القريض العربي ونمت على توالي العصور حتى أتت أكُلُها في أمثال المتنبي وأقوال صاحب اللزوميات، وأن زهير واضع أول

[1] المرجع نفسه: 25.

[2] المرجع نفسه: 25، 46.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

حجر في بنيان الفلسفة الشعرية.) وهو يعني هنا في هذا المصطلح (جرثومة) أي الحجر الأول أو البذرة الأولى.

5- دماثة اللغة : في حديث البصير عن شعر زهير بن أبي سلمى وامرئ القيس كون شعرهما يمتاز بدماثة اللغة وسهولة التعبير.

6- الأصلية : في حديثه عن شعر الحارث بن حلزة اليشكري، يقول البصير: (ولكن مما لا ريبة فيه أنه ذو أصلية قويةٍ فيّاضة. وفي حديثه عن مواصفات الشاعر الجيّد قوله أن تتوافر الأصلية في شعره. وهو يعني بذلك الأصالة.

7- الخطة، أو التصميم : في حديثه عن مواصفات الشاعر المجيد ، واجب عليه أن يرسم لنفسه خطة ينفذها في عمله الأدبي الفني بدراية ولباقة، وتسمى عند الفرنسيين (Plan) ونسمّيها نحنُ: تصميم.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

ح / الخاتمة :

أودّ أن أؤشرَ هنا بعض الملاحظات على الكتاب:

كتاب: (بعث الشعر الجاهلي) كتابٌ مهمٌ يؤرخُ لعصرٍ اختلف فيه نقّادُ العرب فضلاً عن المستشرقين، بل ودافعَ فيه دفاعاً موضوعياً عن صحة الشعر الجاهلي وفنّدَ آراء بعض المستشرقين وما وردَ من أفكار وآراء للدكتور طه حسين في كتابه (في الشعر الجاهلي).

ولم يصلنا الكتاب الأصل (الأدب العربي قبل الإسلام) الذي ترجمه الى الفرنسية وقدّمهُ أطروحةً لنيل شهادة الدكتوراه ، بل وصلنا بعض من آرائه في أوراق قليلة ضمن كتاب: بعث الشعر الجاهلي.

إن كتاب(بعث الشعر الجاهلي) لم يكن مخططاً له أن يكون بصيغة الكتاب الحالي، ولم يرسم أو يضع خطةً محدّدةً أو منهجاً علمياً لتسلسل موضوعاته، بل كان في البداية عبارة عن محاضرات وأحاديث إذاعية تلقى على المستمعين، لذلك لم يتسع في البحث والحديث في الموضوع الذي يطرحه خلال الحلقات الإذاعية لكونه ملتزم بوقت محدّد، ثم أصبحت هذه الأحاديث مشروع محاضرات لطلبته في دار المعلمين العالية.

كما كانَ البصير دائم البحث والتغيير والإضافة بكتاباته فهو يضيف ويشطب حسبما يقتضيه الموقف، فيهذّب أوراقه قبل طبع الكتاب ليكون في حاله الأخير مختلفاً عمّا قدّمه في دار الإذاعة أو في محاضرات درسه الأكاديمي.

إنني أجدُ في ترتيب موضوعات الكتاب على وضعه الحالي لم يكن موفقاً فيه لإعطاء الكتاب الأهمية ولتسلسل الموضوع لبلوغ الغاية المبتغاة. فلو وضع الدكتور البصير موضوع (أطروحتان) في ص: 84 ، والتي يبين فيه ويوضّح قصة كتابة هذا الكتاب والكتاب الأصل (الأدب العربي قبل الإسلام) ومن ثم قيمة الشعر الجاهلي في صفحة 100، ومن ثم يبدأ بشعراء المعلقات، هذا من باب أولى ووفق منهجيةٍ علميةٍ ؛ لا كما وضعها الدكتور بالمقلوب حيث وضعَ عرضاً ودراسةً لشعراء المعلقات أولاً ؛ ومن ثم بيّن قصة الكـتاب وقيمة الشـعر الـجاهلي الفنية والأدبية والاجتماعية .

أتمنى أنني أكون قد استطعت بيان جهود هذا العالم الجليل في كتابه (بعث الشعر الجاهلي) الذي بم يُسلط عليه الضوء وظل حبيس المكتبات.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

المصادر والمراجع/

-الآداب العربية في القرن التاسع عشر، الأب لويس شيخو اليسوعي، ط2، المكتبة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، سنة 1924م.

- الأدب الفرنسي في عصره الذهبي، حسيب الحلوي، ط1، حلب، 1952م.

- تاريخ الدولة العلية العثمانية، محمد فريد بك المحامي، دار النفائس بيروت، ط2، 1403هـ

-داود باشا ونهاية المماليك في العراق، يوسف عز الدين، بغداد، 1967م.

-الشعر السياسي العراقي في القرن التاسع عشر الميلادي، إبراهيم الوائلي، ط2، مطبعة المعارف، بغداد، 1398هـ/ 1978م.